المحزم المليان !

يقول الله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ أما الجمال للزينة فلم نسمع بذلك إلا في عصرنا الحاضر، ولعلني أكون مخطئاً، وقد يكون مقبولاً أن تعقد مسابقة لأجمل حمار بدليل أنه إحدى الحيوانات التي ورد ذكرها للزينة في الآية الكريمة السابقة، ولكن أن تعقد مسابقة لأجمل ثور، أو أجمل عنز، أو أجمل ناقة، فإنه أمر مريب وغريب حقاً، والعرب كانوا عبر التاريخ يعقدون سباقات لتحمّل الهجن وسرعتها، وليس لأجمل برطم ولا لأعظم فحل.

نعرف تماماً مدى ارتباط ابن الجزيرة العربية بالإبل، وندرك تماماً قيمتها المادية والمعنوية بالنسبة إليه، ولا ننكر عليه ذلك أبداً، وليس لنا مع هذه العلاقة أية مشكلة حتى وإن تحولت إلى هوس وهيام وغرام.

لكن المشكلة تكمن في هذه المهرجانات والمسابقات التي قد تؤدي إلى عودة النعرات وإثارة العصبيات القبلية التي نحن بأمسِّ الحاجة إلى نبذها والابتعاد عنها، ومن يشاهد طوابير الإبل وطوابير السيارات والناس خلفها يجوبون الصحراء راجلين وتغشى الأتربة عيونهم وتسد الرمال مناخرهم، يدرك تماماً أن المسألة لم تعد حباً للإبل ولا عشقاً لبراطمها، وإنما هي فزعة للشيخ فلان من قبيلة آل فلان، وتكثير لجماهير القبيلة أمام القبائل الأخرى، ومن الطبيعي، والحالة هذه، أن تحدث بعض المنافرات التي عرف بها العرب ولم يتخلصوا منها حتى اليوم، وأن قبيلتنا أكثر وهي الأقوى وهي الأشرف .. وهي الأشجع .. وهي أجمل إبل العالم براطماً، وهكذا.

إن جمع أمثال هؤلاء الجماهير في مكان واحد هو الخطر بعينه، وقد رأينا

كيف يتصرفون ويهتفون و(يناقزون) ويسرفون في الأكل والشرب، ورأينا كيف اعتلوا أسقف السيارات في منظر غير حضاري، وسمعنا (شيلاتهم) وأهازيجهم التي تقطر تعصباً وغوغائية، وقرأنا مهاتراتهم واحتدام نقاشاتهم عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وهو أمر خطير قد يولد شرارة مواجهة بين أبناء القبائل في أية لحظة بسبب برطم ناقة، لتعود بيننا داحس والغبراء من جديد.

إنني أثق في عقلاء القبائل، وفي قِيَم القبيلة التي تدعو إلى الحق والعدل والشجاعة والشهامة والمروءة والكرم، وكل الخصال الحميدة، ولكنني أخشى من جماعة (المحزم المليان)، الذين يعتبرون القبيلة (شيلة) وصراخاً و(هياطاً) ومفاخرة فقط، أولئك الذين لم يشهدوا ولم يعيشوا ألم الخوف والفقر وحاجة القبائل إلى بعضها واعتزازها ببعضها، أولئك الذين يركبون (اللكزس)، وفي جيوبهم لكزس من نوع آخر، أولئك الذين يحضرون لمخيم القبيلة نهاراً ثم يعودون لتناول القهوة من ستاربوكس والعشاء من ماكدونالدز، ثم يسهرون على أفلام الأكشن، وأولئك الذين لا يشربون إلا (الحمضيات) ولا يقودون غير (الددسن)، ولو طلبت منهم ركوب الناقة التي يسيرون خلفها و(التفحيط) بها لسقطوا عن ظهرها قبل أن تقوم بهم، فئة العظام البشرية المتحركة من (الدرباوية).

أتمنى أن يراجع العقلاء في القبائل وفي الجهات الحكومية المنظمة لمهرجانات الإبل هذه الحال التي قد يشعل فيها الحمقى والصغار شرارة تكون مقدمات لعنصريات بغيضة وثأرات وانتقام وعصبية جاهلية من أجل (برطم) ناقة.

ومعظم النار من مستصغر الشرر.